عذابات النفس

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

- **الكتاب: عذابات النفس**
- **المؤلف: علي القصير**
- **نوع العمل: مقالات**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع : 19433 / 2019**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6754-48-5**

- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 29 شارع الكمال – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 002022402029 - 002026061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

عذابات النفس

علي القصير

www.bbibliomania.com

اهداء

إلى أصحاب العقول

ليجدوا ذواتهم

علي القصير

مقدمة

صراع مستمر، لا يجد أحدا منه مهربا، بين النفس وذاتها.

في كل زمان ومكان، ومع كل شيء، وعلى كل معلوم وغير معلوم، وإلى وقت غير محدد.

صراع مختلف لدى الجميع، مادته الفكر، وموضوعه أنا، وأدواته المعرفة.

يولد حينما نولد، وينمو كلما ننمو، وله أغصان وثمر.

ويستوعبه وعاء الذات دون الذوات الأخرى، لأن الأوعية هي القلوب التي نعقل بها.

ولا تتشابه، كالأطوار المختلفة التي نحن عليها، والألوان.

وإن القلب كالأرض التي تتطلب منا الحرث والغرس والسقي والوصال حتى نحصد منها ما يطيب لنا منها.

صراع يَحيا بحياة الروح لدينا، ويحبو حينما نبدأ نحبو.

ويبحث بعد الإدراك عن الوعي، لينتج الفهم، ونبلغ الحقيقة.

صراع يصنع الجواهر، عند أهل التأمل والتدبر والتفكر، وينشر الظلام في أعماق النفس إذا تم إهماله.

وما بين هؤلاء وأولئك وقفت في زمان ممتد بينهما، لأرى كل منهما، وأين يجب أن أكون.

وبعد مسيرة زمان شبيه الثواني، طوى مني خمسة عقود، أنتج العقل في مختبر التجارب نقطة البداية التي أبدأ منها الحياة.

فنظمت هذه السطور وما بينها أنا، ليراني مَن يقرأ، ثم يبحث عن ذاته، حتى نلتقي كالأغصان حينما تتمدد في شجرة، ومنها الحياة.

علي رسول القصير

كربلاء – الأرض الـمُـقدسـة

القراءة

إن صيد الفوائد يكون من خلال القراءة، ومعها يهنأ المرء بلذة الإدراك.

وبالوعي يكون بناء المعرفة التي تقودنا للتطور والنجاح، بعد أن تصبح لنا مَلَكات تجمع عقول الناس إلى عقولنا، في أسفارنا بين سطور الأفكار.

ولا يتم التغيير إذا لم نمتلك مفتاح القراءة، وبه تتسع الذاكرة، وينمو العقل.

وحينما تقرأ، تعيش كتابا، يقرأ سطوره أبناء الأرض، لأنك سوف تعرف مَن أنت، ومَن هُم، وماذا يجب أن تكون؟

ويكون حصاد الناظر للعقول الطامحة بأبصار نافذة، لتهنأ بثمار القراءة، وتحظى بدرع يمنع عنها آثار الأفكار المظلمة، وتحفظ السعادة

للنفس، والراحة للروح، وتنمو لديها المهارة على تمحيص الآراء، وتوليد القناعة، والتغيير، والإدارة للنفس والمجتمع.

ويجدر الانتقال إلى عالم أروع بعدما نُدرك قيمة الزمن، ونحن نقرأ الحياة من البداية إلى الخاتمة.

الكتابة

لكل نص هيكل، ينطق بصوت عقل كاتبه، وله نظام، وصناعته علم.

والكتابة رحيق القراءة، كلوحة بريشة الجمال في معاني الجمل، تجمع في السطور غنائم الأسفار بين العقول التي قرأت لها، لتكون كالفلاح، تغرس الجميل من الفكر بذورا، يحيا بها نظيرك في الخلق، وتبقى بينهم حيا في كلماتك.

إن الكتابة فيها نور وروح وحياة، وهي نتائج الأفكار، ونضد الحقيقة بعد التحقيق.

وما بين الأقلام غزت أخرى لتغتال العقول، عمدا أو جهلا، واللقاح في الكتابة السليمة.

عذابات النفس

النظام في ترتيب الأفكار ضرورة لا بد منها، لإيصال الصور الذهنية، ضمن قوالب ألفاظ تخزن المعاني، وعلى هيئة مراحل، تنساب كالماء في الممكن الذي يتم إدراكه.

وكل عنوان بمثابة حدود، وتقنين تقني في أسلوب الكتابة، رعاية للمحتوى في كل صورة، وعدم خلطه بألوان الأفكار المختلفة.

لذا أبدأ منذ الطفولة، وأنتهي بالمسيرة مع العقل الفاعل وقدراته.

حكاية قبل البداية:

إن هياكل الكلمات يتم بناؤها من الحروف، ويكون لها معنى، وأثر.

وليس من الصحيح أن يقوم الكاتب بالظلم إلى القاريء من خلال إملاء السطور بالكلمات الفارغة، أو التفصيل في تعريفات بعض الكلمات، أو دمج موضوعات متفرقة مع العنوان الرئيسي لتقود القاريء إليها، ثم بعد اطلاعه عليها يُدرك بأنه تم اغتياله فكريا، مع قتل الوقت لديه، ولا يجد من يرفع إليه شكواه،

لانعدام تشكيل محكمة للكتاب، أو للضمير، في كوكب يشعشع بالنور، اسمه: الأرض.

والخلاصة: إن كل فرد يمر في تجارب كثيرة حتى يصل إلى ما يبحث عنه، ويحصل عليه، وينبغي الاقتناء لكل نفيس من الكلام الذي نستشعر به الحياة، ونقدمه غذاء للعقول.

المرحلة الأولى

النمو

إن إدراك معنى الكلام وفهمه بحدوده يعمل على تقويم الذات وتفعيل قوة العقل.

ومن أجل ذلك يلزم البيان لمعنى النمو، في التعريف اللغوي والعلمي، لأن بعض الكلمات يكون لها معنيان، لغة واصطلاحا:

الأول: ما تدل عليه الكلمة في اللغة.

الثاني: اتفاق مجموعة على إطلاق كلمة، تعريفا لشيء ما، يُدعى بالاصطلاح.

النمو: يدل على الزيادة.

ويدل على تعريفات لأمور أخرى، مثل: التغيير، والرفعة، والانتماء.

وللنمو أنواع تتعلق بعضها في الذات، وبعضها بما حول الذات.

ولكل نمو مراحل، تتحقق فيها زيادة الإدراك، بتفاوت بين الأفراد، على حسب ما يتم تحصيله في تلك المرحلة لكل فرد.

ولا أشير في المرحلة الأولى من عذابات النفس إلى النمو الجسمي أو الحسي وما يلحق بهما من حركة، وإنما القصد له قطب ومحور يرتكز عليه

المعنى، وهو النمو العقلي، وكلما استمر النمو توسع الإدراك للأشياء، وأصبح العقل راجحا في فهمها.

وإذا انحرف أثناء نموه تأرجح بين النور والظلام الذي يقود إلى الضلال، فأما أن يختار الوقوف حيث انتهى به المسير، أو أن يخلط هواه بعلمه، ليتيه في ظلمات النفس التي تأمره بأفعال الشر.

ويبقى لكل فرد استطالة في مسيرته للغاية والنهاية وبلوغ القصد، ويختلف البسط الطولي الممتد من ولادته إلى فَوْتِه، عن البسط العرضي المتعلق بالأحوال العارضة من حوله، ولكل واحد منهما آثاره خلال النمو.

النمو الذهني

يبدأ بواسطة الحواس والحركة لدى الطفل، ليتعرف على الأشياء، ثم يتواصل مع المحيط من حوله ذاتيا، وتكون الشهور الأولى لها مميزات ابتدائية، لوجود الفرق بين إدراك الناس وإدراكه الحسي البسيط، وتظهر عليه انفعالات يشترك فيها الجميع ضمن هذه المرحلة، وعلى هيئة

تسلسل، مثل: الرضاعة، وحركة العينين، يتلوها التبسم، والصراخ، والحركة لليدين والرجلين.

وبعد العام الأول يبدأ لديه فضول الاستكشاف للأشياء، ثم تبدأ المعرفة بتعلمه اللغة، وشيئا فشيئا يقوم بترتيب صوره الذهنية.

وهذه المرحلة هي المرحلة الأولى لعذابات النفس!!

ولعل الكثير منا لازال يحتفظ بصور ذهنية كثيرة لمرحلة الطفولة، على اختلاف نشأة الإدراك ومقوماته وبيئته.

ويبدأ الصراع بعرض تساؤلات صارخة بصمت، في جوف صغير، يطوي العالم بين جنبيه، قلب ينبض بالحياة ليحيا.

وللضعف إرهاصات في الطفولة، لا سيما حين منعه عن شيء محبوب لديه، كما أنه يعمل على أن

يكون مميزا بين أفراد عائلته عند وجود غيره من الأبناء.

وتختلف عذابات النفس في كل عام لدى الجميع، فكلما نضجت حواس الطفل وتنوعت معارفه أصبح تفكيره أوسع، ولكل موجود آليات تختلف عن غيره في صناعة ذاته ومستقبله.

ويتم تخصيص العناية في هذه المرحلة للأطفال، لتفعيل وتحفيز قدرة التفكير لديهم، مع تعريف

الأشياء وأسماءها لهم، من الطبار إلى الصغار بواسطة كلمات بسيطة.

المرحلة الثانية

الادراك

يختلف الإدراك عند كل فرد، وتتنوع عناصره كتنوع الأطوار وأسباب نشوئها.

وكما يختلف التعقل للأشياء في قلوب الخلق فكذلك تختلف الأطوار.

ومراتب المعرفة درجات، يظن السالك بلوغه الرقي المتناهي بالفكر حينما يستطيل نضوجه في النظر للمسائل التي يغوص فيها، ولكن اللبيب يقف ضمن حدود لا يتعالى ولا يعيب، فلربما ينكشف له الأمر فيدرك بأن ما ذمه هو الحق، أو ما أعاب هو الحقيقة.

إن العقول لها بصر، والقلوب لها بصيرة، والأعمال لها نُسَخ، والفهم على قدر الإدراك، فلا

تقس غيرك على نضجك، واقتبس ما رأيته مستقيما.

ولما تبلغ قمة النضوج في الرابعة والعشرين من عمرك، فإنه لا يعني أنك بلغت قمة الإدراك، لأن سن الأربعين هو قطب الإدراك، مع الملازمة للتجارب فإنها براهين للعقل، ويستمر الفكر في فضاء ممدود.

ولا يخفى بأن الأشياء يتم إدراكها بالقلب والحواس، والقلب يدرك بالصور التي يصورها العقل، ثم يعمل على تصديقها، وأما الحواس فتتباين وجوه الإدراك بها.

فبعض الأشياء يتم إدراكها بالبصر، وأخرى بواسطة السمع، أو اللمس، أو اللسان، أو الشم.

وكذلك الحر والبرد والألم والحزن والفرح وغيرها الكثير مما يتم إدراكه بالوسائط.

وعذابات النفس في مرحلة الإدراك كثيرة وكبيرة ومتنوعة، وتستمر مع أسبابها، وتتغير حسب العوامل المحيطة لها.

المرحلة الثالثة

البيئة

البناء الذاتي يرتبط ارتباطا وثيقا مع البيئة، ومع الأثر الوراثي يبقى لكل فرد مقوماته، وللتربة والماء والهواء أدوار في حياتنا.

ورغم الكوارث الطبيعية والحروب تبزغ أسماء قد صارعت ظروف الحياة لتحقق وجودها.

وللأسفار فوائد جمة تعمل في المقدمة على التنوع المعرفي، وتثري الفكر.

وعلى كل فرد عاقل أن يبحث عن الأرض التي يجد فيها الحياة والكرامة، ليتعلم ويعمل ويتطور ويتقدم ويكون مثالا.

عذاب مستمر بين البحث عن الذات، والحفاظ عليها، واختيار القرين الذي يستحق التواصل، ولكل خطوة يكون القصد له اتجاه وزمن.

المرحلة الرابعة

الوقت

الحياة ومتطلباتها والسعي للعلم والعمل، مع الارتباطات الاجتماعية، والتقلبات في الأحوال الصحية، ولزوم النوم، جميعها لن تدع لنا وقتا للبحث عن ذواتنا.

وما بين هذه وتلك يجب أن نعمل على توزيع الوقت، بما يضمن لنا الجزء منه، لأجل أن نتفكر ونتدبر ونتأمل ونطلع ونبحث.

إن العزم يولد الإرادة، وتنظيم الوقت يولد النجاح، فيلزم التخطيط لمعرفة الوقت الذي نملكه، ثم نعمل على استثماره بعد حصر المهام اليومية والجد في حزمنا للتغيير.

عذابات متتالية تتطلب إحراز ملكات متنوعة، لكي تبدأ مع نفسك الحياة.

ربما تكون الأسباب متاحة لتكون حيا دائما، وربما لا تكون، ومن الجميل أن تبدأ الحياة بعد أن تتحرر من عذاباتك، لأن الكثير يظن بنفسه أنه حي، والحقيقة أن الواقع كونه كالميت لا حياة لديه.

المرحلة الخامسة

الوعي

الوعي يصنع القدرة على التمييز، وتتولد منه رؤية نرى فيها وجه الحقيقة، ونحصل عليه بعد النمو الذهني، ويقود للاختيار، ويشعشع البصيرة.

وهو مثل النور، يسلك بين الأفكار بحذر، كالسائر ليلا فهو بحاجة لقدر كبير من الوعي والانتباه عما يحتاجه إذا سار في النهار.

إن الوعي متوفر لدى الجميع، ولكن ذو مستويات مختلفة، لأنه متلازم مع الفطرة التكوينية، وأداته القلب، يمتنع به اللبيب عن الغفلة، ويكون له مَلَكات تمنعه من التشويش

الذهني، ويهب الحذر، لأنه يعمل على تحسس الأشياء بدقة.

وليس محالا، كما أنه ليس من السهل إيجاده، وتفعيله، والحفاظ على كتلته ضمن إرهاصات الزمان، ولكنه في قليله وكثيره يعمل على تنوع الأفكار حتى بلوغ اليقين.

ويختلف الوعي المبكر عن غيره، كما يختلف تفعيله من الفطرة والتكوين عن غرسه، وله

معنى الحفظ في النفس حين السمع، وتفعيله حفظه في غير نفسه.

وتتسع أوعية الضمائر التي تعمر في القلوب من خلال التأمل والتدبر والتفكر، فالوعي الباطني الروحي يعمل على إنتاج معنويات تتعرف على أضدادها، وترتقي في مستويات المعرفة الوجدانية، لتكون مثالا للمدينة الفاضلة في داخل فرد يمتنع بها عن الميل بعيدا من العقل،

وهي حصاد دهره، من أرض فهمه، التي شاء أن يزرع فيها للأجيال ما يستنيروا به.

وشتان ما بين وعي يطفو كالزبد على الماء، لا يكاد تضمر القلوب منه شيئا، وبين آخر كآصال الجذور للشجر، تمتد وتنعطف وتتفرع، وهي تتقدم في حركة صامتة، لا تراجع فيها، مع رشد يعكس صورة الفهم للنظام، والالتزام نحو الغاية، تجسيدا للوعي العملي والإنساني.

ولا يتعلق مطلقا بالوعي الشعوري وفقدانه من خلال المرض أو شرب المسكر.

وسوف تتكلم عذابات النفس بصمت كيف ينير الوعي بعد خوض التجارب، وسأبدي السر، ليرى غيري ما رأيت، لعله بالمسير نحو ذاته تحيا أمة، وتهنأ أرواحا غالوها بالظلم.

المرحلة السادسة

التأمل

إننا نبصر الشمس صغيرة من خلال حاسة البصر، لكنها ليست كذلك، ومن خلال التأمل العقلي نسعى لإدراك اليقين.

وينطوي الزمان خلال التأمل، مثل الرؤيا، ويقطع السائح في تحصيل المعاني بعقله مع

القرائن التي تم تحصيلها لديه أضعاف المسافات لدى أهل المماطلة والتسويف.

وتتحرر الأفكار ما بين البصر والتبصر، في المفردات والممتزجات، وفي المرئيات وغيرها، مع تفعيل ملكات النفس من خلال التأمل الدلالي، في الحاضر كالندى، والغائب كالمدى، كالاستقراء للنصوص عند بسط وجوه المعاني فيها.

وكما تختلف المعرفة من خلال المحسوسات فهي كذلك في غيرها.

والتأمل فعل، فاعله النفس، وأداته العقل، ومادته الفكر، وموضوعه الفهم، وموقعه القلب، ويدل على الوعي، ويولد من الإدراك، وله صورة الصمت، ومثاله التفكر، ويظهر معناه بنطق الحكمة والفعل الحكيم.

وهو نشاط عقلي يستعمل النظر والتفكر والتدقيق، باقتران الحس الظاهر مع الحس الباطن، لإدراك الحقائق.

والتأمل رياضة فكرية، وسياحة فلكية، ومَلَكَة روحية، وقوة حسية، وفعل عارض يقابل الفعل الفطري، واستكشاف للفهم والتصديق والإحاطة، مقرونا بالنظر، وهو تفكر القلب والتروي في معرفة الأشياء والاستدلال عليها.

ويكون بالتركيز على شيء، واستيعابه بالاعتبار، ضمن تفكير طويل وعميق.

ويُعد من أهم القواعد الأساسية لتهذيب الروح، وسعادتها.

وللتأمل بصر، مثلما تنظر بعينك فتبصر صدور الابتسامة من أحد ما، ولما تتأمل فيها تبصر بقلبك السعادة لديه، فإنك لا تستطيع النظر للسعادة إلا من خلال الآثار، فتراها بقلبك.

وتختلف الجهات في التأمل على اعتبار اختلاف المدارك العقلية، وكما يكون التأمل ضمن أعمال الأذهان حول الروح والنفس يكون كذلك ضمن اتجاه آخر، مثل التأمل في خصائص الصديق، ومن يستحق أن يكون قرينا يواكب الحياة معنا دون سواه، ولا يتحقق أي منهما إلا مع الأدلة العقلية والاستقرائية، والأدوات المتعلقة بها.

وأعظم ما في التأمل أنه يعمل على تحفيز النفس لمعرفة قدرها وقواها، والسير نحو الكمال الإنساني.

ولا يتضرر باختلاف المزاج، وإنما يتلوث من خلال العلوم الفاسدة، والولوج في ظلامها.

ومن التأمل نشأت الأفكار، واخترع العلماء أصنافا من المبتكرات التي قادت البشرية نحو الرقي والتطور.

وربما يتعدى كينونة التأمل في اليقظة، ليعمل عند البعض في رؤياهم، أولئك الذين يعلمون في الرؤيا وهم نائمون بأنهم في عالم الرؤيا، ويتأملوا فيها تأملا وافيا، ضمن زمان لا يشبه الزمان الذي نحن فيه، ليغنموا الفوائد، لا سيما حين اللقاء مع صالح عليم راحل.

والشعور التأملي حال يتم التمييز فيه بين العلم والجهل، بواسطة المعلومات العقلية وبراهينها، وهي أشبه ما تكون بالجسر الذي ينقل من

الظلمة إلى النور، وتستقيم من خلاله أحوال النفس المضطربة.

وبالرؤية القلبية يتم اكتساب السعادة، مع التأمل الممتد في آفاق النفس، والمصاحب للتصور والتفكير والإدراك والمعرفة، والوصول للمحسوس وغير المحسوس، بالمحسوس وغير المحسوس، كالبدن والنفس، فالبدن يدرك بحاسة البصر، ولا تدرك النفس بالبصر، وإنما بالعقل، من خلال خصائصها وانبعاثاتها، مثل:

النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمّارة بالسوء، لذا فإن التأمل بالمحسوس له فن، وفي غير المحسوس له نظام.

وإن الاختلاف بين التأمل والتدبر في أصل النظر، فالتأمل يبحث عن المعرفة، والتدبر يبحث في العواقب للأمن من الندم.

ولا يوجد قانون يمنع من التأمل والتفكير، وباعتبار كوننا قادرين على التأمل فهو علم، ولا يتجرأ أحد على إنكاره.

وعندما نغوص في أعماق الأشياء بالبصيرة القلبية نستظهر بالتأمل حقائقها، ونميز مظهرها عن ظهورها، وآليات إظهارها، ونرى كل هيئة وصورة كجوهر أو عرض.

وتتطلب الأسفار في أغوار الماهيات الممكنة مقومات، للتحرر من عذابات النفس التي يخفى عليها ما حولها.

وتلعب القوة الفكرية والقدرة على تصريفها دورا في تقويم الذات، لأن طلب العلم يمنع الجهل، وتتحقق السعادة باصطناع الآثار التي فيها الحياة، من جنائن الشوق والحزن والخوف.

المرحلة السابعة

البحث عن الذات

حينما بدأت الوعي تأملت كل ما حولي، وصرت أبحث عن ذاتي، وكانت بداية البداية سألت نفسي مَن أنا وإلى أين أسير؟!!

وبدأت سياحة مع الصمت، أتفكر في صندوق اسمه البدن، وروح وعقل وقلب وحواس وشعور ولحم وعظام وعروق.

وظاهر وباطن، وللظاهر مَظاهر كالعين والأذن واليدين والقدمين، وللباطن كثير لا أحيا دونها، مثل: الدماغ والدم والرئتان والكبد والأمعاء والشرايين والأعصاب.

ولهذا البدن أبعاد لها ظل ووزن وطول وعرض وحدود، وهو مصنوع للحركة، ويحتاج للنوم والراحة، ويعتمد على الأوكسجين والماء والطعام.

ويتشابه هيكلي مع غيري، ويختلف عنهم في دقائق الأشياء، مثل: الطور، وخطوط الأصابع، وشبكية العين، وحبال الصوت.

وفي رحلتي إلى ذاتي تأملات في صناعتي ومتى كانت؟ ولماذا؟!

وتتضمن الأفكار أنواعا من التساؤلات، مثل: اختيار الوجود.

هل أنا مَن اختار أن أكون؟ ومتى؟ ولماذا؟

أو هناك من اختارني لأكون؟!

ولماذا تختلف كينونة الفرد عن الآخر، حتى في البقعة الجغرافية التي يولد فيها، وكذلك صورته ولونه وما يلحق به؟!

وإذا لم أصنع نفسي، ولا يوجد من صنعني، فمن الصانع لهذه الأجزاء الدقيقة في كل خلية من خلاياي؟

وما هذه القوى الروحية والنفسية والجسمانية وما يتفرع منها، مثل: الحب والبغض والشجاعة والصبر وأمثالها؟

ولماذا أستطيع التحكم في بعض القوى دون غيرها من الأشياء، مثل: التنفس تحت الماء، أو الطيران في الهواء، أو أبصر بعيني ما فوق السماء وما تحت الأرض، أو أبقى حيا لا أموت، أو شابا لن أشيخ؟

أسئلة كثيرة تجعلني أكثر عزما لمعرفة ذاتي، وكلما تتكرر الأسئلة يتنوع البحث.

ولا بد من فراغ وهدوء ومزاج معتدل للحصول على إجابات صحيحة، بعدما أغوص في أعماق النصوص الموضوعية التي ترتبط بكل سؤال.

ويكون المنهج:

١- تحقيق إثبات صحة النصوص قبل قبولها.

٢- البحث عن القرائن الدالة على سلامتها.

٣- عرض وجوه المعاني فيها.

٤- جمع الأدلة العقلية لكل وجه منها.

ويبقى للنفس عذاب مستمر يتردد ضمن السؤال لماذا؟

ويستمر في آفاق متعددة حتى يتعدى التأمل ذاتي، ويصل إلى مَن حَوْلي، ومعي، مِمّن أراه، ولا أراه، وحدود العالَم، والعوالم، وما بينها أين أنا؟ وماذا أصنع؟ وهل يوجد أشباهي ضمن تكوين مختلف أو متشابه في غير كوكبنا؟

والخلاصة: تتطلب الرحلة لمعرفة الذات إلى البحث عن الحقيقة.

المرحلة الثامنة

البحث عن الحقيقة

بين عذاباتي وركام الآهات ورفات الأمل شَدَدْت الرحال للبحث عن الحقيقة وإدراك الحقائق، ولأخلع الشك باليقين، وأتحرر من الحيرة، ولتطهير أعماقي من موروثات وتقاليد كبرت معي منذ الصغر، فتطلبت استغراق في

التفكير، وبحث حثيث، وتساؤلات مع نفسي، ومشاورات مع عقول متنوعة، وسلكت طريقا يشق على النفس أن تتحمله، بعد سبات طويل دون دراية.

وما بين صمتي والسكون أردت أن أكون، فعزمت على ترتيب الأفكار، واغتنام الأسفار، وفي كل خطوة عائق كبير، وهو فقدان الدليل المرشد، وحتى مَن أستوثقه بالإجابة حين

السؤال، لأن كل فرد يعتنق فكرا يحتمل وجهان، وليس للصواب المطلق عنوان ألجأ إليه، وكأنني أدور بالفكرة والنظر، أتحقق في البشر، مَن يحمل الأمانة، لكي أسأل عما أجهل.

إنه أمر شائك وعميق قعره لا يُمكن تحصيله، بسبب تعدد أنواع العلوم، ولزوم التخصيص للنابغة في كل موضوع، وإننا من خلال زيادة العلم في مسيرة الحياة نُدرك بالتجارب حجم

الجهل عندنا، ونُبصر مساحته الكبرى في كل يوم.

وبعد تصفية الفكر من الشوائب كان الاختيار للبحث الذاتي منهجا للوصول إلى الحقيقة، لأن العلم غير محصور في شخص أو بلد أو كتاب.

وتمضي العشرات من السنين، وأنا سائح في آثار الدهور، كأنني في مختبر للعناصر، أحلل الكلمات، وأستعرض العقول فيها، وأتبع أنفي

بين السطور، وليس من اليسير أن تمسك قوسا فتطلق السهام، لأن الرماية علم وفن، ومثلها الإقرار على وقائع الدهور وكل موروث غرسوه في عقولنا فكرا.

وكنت ما بين الأسفار والأقدار والعلل أغتنم الأوقات، تلك التي يصفو فيها الذهن فيحسن التأمل، لأتحكم في الصور مع دقة البصر وقوة الاستبصار حين التدبر.

ومع العجز بالإحاطة في جميع أصناف العلم، كذلك يتعذر تحصيل الأصول والتحقق من تاريخ ولادتها في كثير منها، لذا كان لا بد من الوقوف في محطات الأسفار والقراءة لمجموعات متنوعة من العلوم، بين موضوعات عديدة كان لها تأثير بالغ في أسلوبية النصوص وأسرارها، مما جعل تأثيرها كمادة ساحرة لدى أتباعها وكل معتنق لمبادئها، مثل: علم الإيمان والإلحاد، وعلم

الحضارات، والتاريخ، وعلم الطبيعة، وما وراء الطبيعة، وأمثالها مما فيه الائتلاف والاختلاف، والسعي خلف النصوص للتأكد من سلامتها ومصادرها وأصولها، والتوثيق للمعنى الحقيقي غير الذي تم محوه من خلال الترجمة لكثير من نصوص اللغات الأخرى، وهذا يجعلني مُضطرا للاطلاع على أكثر من طبعة لبعض الكتب، أو الرجوع لنسخة مخطوطة منها، لإثبات النص

قبل أن أتخذ منه فكرا، أو أعترض عليه، ولأكون منصفا مع نفسي في تغذيتها بالعلم النافع، أو منعها عن وباء فكري لا زال ينتشر دون أن يقمعه أحد، ولا فرق بين النصوص.

إن الاختلاف في الإدراك والفهم أصدر رؤى متنوعة ومتضادة، وكانت أغلب الثقافات عبارة عن موروث سلبي، وينبغي علينا أن نتحقق من كل كتاب ونص، ومَن كتبه؟ ومتى؟ وضمن أي

زمن؟ وأي حاكم؟ وما عاصر ذلك الزمان من أعاصير فكرية؟ وماهية الكاتب وميوله وعقيدته وانتمائه؟

ثم نقف ضمن رؤية مجردة بين فيض الكلمات، لنغترف الحقيقة، دون الميل لأحد، أو التأثر بأحد، أو الحكم دون دليل، ويكون الاستدلال بواسطة النص الصحيح الذي يتم إثباته، أو بواسطة العقل، أو كليهما.

إنني وجدت الكثير من البثور في السطور، والتي تخللت النصوص، لتكتب المجد للظالم بدماء المظلومين.

وكانت الكثير من الحروف تغتال الحق والحقيقة، وتوارثها الآباء مع تنوع مراتب النضج والمدارك.

ومع اختلال الأنام واختلاف الأفهام، أسهمت في صناعة أسباب السلوك لطريق الظلم والظلام.

وحتى يتحقق مبتغى الطالب من عصارة آلام سواه، يتقدم بقرابين التوبة والندم، ليضمن فخر البناء بجثامين المظلومين ودمائهم إرثا لأبنائه وأذنابه، كأن الرقيب غافل، والشاهد أعمى، والحسيب يجهل الحساب.

وكانت الحقيقة لي مَنهلا من آثار أهل الصدق، بعدما تبينت الدلائل عليها، وحري بنا أن نتأمل مَن نقل لنا كل شيء؟ وكيف نُصدق كل شيء؟

وانقشع الظلام بعدما تنوعت القراءة، وكانت نكهة النص تتميز في نظم العلوم وسبك جملها بين فريق الإيمان والإلحاد.

وَتَـمَـيَّـز الشك كأداة تعمل على تفعيل التفكير والبحث، ليتحقق اليقين.

وإذا تم البحث عن جواب سؤال واحد لدى كل واحد منهما لوجدنا فرقا بينهما، لا يكاد يختلف عن الفرق بين النور والظلام.

وكان من ضمن ما قرأت من تراث أهل الإيمان نصوص التوراة والإنجيل والقرآن، ولم أجد ضمن النصوص الأصلية اختلاف في الإله المقصود، وهو واحد، وصفاته واحدة، وفي جميعها عناصر الحياة، مثل معادلة كيميائية يتم

من خلالها توليد عنصر جديد، وهي أشبه بنظام المراحل الدراسية للإنسان العملي.

ورأيت أن جميع مَن كتب العلم كان ينهل من كتب الشرائع، أو يسير معها، أو يعترض عليها، دون أن يستطيع نقض شيء منها.

وحديثي إنما هو عن الأصول التي لم يتم التلاعب فيها خلال العصور، والترجمة.

ولم أقتصر عليها، لأحمل في خِزانتي آراء أهل الإلحاد وفلاسفة البلاد وأهوائهم وميولهم، مع دراسة عميقة للظروف التي صنعت أفكارهم.

وليس الاختلاف بين أهل الإيمان والإلحاد في قدم الوجود أو حدوثه فقط، وإنما في استمرار الحياة أو فناءها أيضا، وما بين البدء والمنتهى صراع بين أمل المؤمنين وألم الملحدين.

وتتكون تضاريس الملكات الأخلاقية عند الفرد من خلال مفرداته، وهي متضادة بين أهل الإيمان والإلحاد، ولا أخص بأهل الإيمان تجار الأديان، كما لا أجمع في لفظ أهل الإلحاد أهل الغفلة والجهل مع أهل الوهم والنظر المجرد من الدلالة.

ووقفت في واقع افتراضي بين مسيرة الدهور والتقنين الأخلاقي لأهل الإيمان ومسالك

الأوهام لأهل الإلحاد، وأنا أُبصر في تلك الظلمات بأعينهم وأسمع بآذانهم، وكنت الخصم والـحَكَم، حتى كأني كنت ولم أكن، ومنهم وعيت الأثر، وكيف يستمر هؤلاء وأولئك.

وَعْيٌ أدركت به الحقيقة، حينما سِرْتُ إلى ذاتي، بحثا عن الإنسان، تجلى فيه الحب لكل مصنوع مثلي.

المرحلة التاسعة

البحث عن العلاج

كنت كالموج يضرب بعضه تارة، أو يتبعثر على ساحل أفكاره، ثم أعود أغوص في فكرة، تستطيل في زمن وسط الزمان الذي أنا فيه، وأعلو موجا أكبر، حتى رأيت من شاهق تلك الجزيرة التي تجمع رفات نظرائي.

وقبل أن ألتحق بجمعهم، طفت مع الريح أحييهم، وأحنو عليهم كغصن نحيل مال من رقة الندى.

أَتَنَسَّك وأبتهل بكل خلاياي لأصنع أثرا، يجمع النفيس منهم عِقدا، ذراته حروف تسقي العقول كالمطر، والمعاني للقلوب، لتُنجي النفوس من الـخَطَر، وأصبحت بين الناس كسائر بينهم ليس

معهم، أروم أن يكونوا أحرارا من عذابات النفوس التي كنت عليها.

وليس اليأس دواتي، وإنما هي الحقيقة.

سيستمر الظلم ويتسع الظلام، ويبقى وميض الحق في الآفاق له نور، يتنفس شعاعه الإباء، ليبقى لديه إكسير الخلود معنى، حتى ذلك اليوم الذي يمحو بضيائه كل ظلام، ونبدأ الحياة.

ومن أجل الإيثار، أروي التجارب، لترتوي العقول والبصائر.

وإذا رمت الحياة في محور التعقل فلا بُـد لي أن أكون رقيبا لنفسي أحفظها، وحسيبا أُثريها، وهي حامضة، وبسمعها مالحة؟

وأتفكر كيف أكتم في جوفي العبرات والدموع فاضحة؟

وكيف أكون حُرّاً لا أسلك سبيل الشر؟

إنها تتطلب ترتيبا لأفكاري، وإعادة النظام والتخطيط للآتي، ثم نقل تجربتي، لعل هناك مَن يغتنم لحظات العمر دون أن يخوض ذات العذاب الذي كنت فيه.

المرحلة العاشرة

تحرير العذابات

كيف أتحرر من الوهم إلى الفهم؟

كيف أصنع القاموس لعقلي، وأكتب فيه معنى أنا، ومعنى هم؟

كيف أختار لونا لأعمالي، لأراه قبل أن يراه غيري زاهرا؟

كيف أسلخ نفسي، لأغسلها؟ أو روحي، لأطهرها؟

وكيف أعرضها؟ ومَن يشتري؟

كيف يبقى عقلي فارسا، ويداه تُمسك نفسي، وأنا أرى عقولا كثيرة أيديها مشلولة؟

كيف أُصحح ما مضى حين الغفلة؟ أو أُسامحَ مَن يُسيئني، لأنه في غفلة؟

(أنا) جعلتها (هم)، فأبصرت ما يُبصرون، حينما أصبحت أنا الـمُراقِبُ والـمُراقَب، والبائع والشاري، والـمُذنب والحاكم، والظالم والمظلوم.

أغْتَنِمُ عطر الحب، وأتَـجَلْبَب الأمل، وأصنع للآخرين ما أحببته منهم لذاتي، وأقرأ أقراني

كأنهم أعياني، أتصفحهم مثل كتاب، لأكون أفضل ما فيهم.

إن تحرير عذاباتي تكمن في ترتيب ذاتي، ورسم هيكل أفكاري.

وما بين محب وحاقد أتقدم في المسير، وأبحث عن مأمني، أينما كان، وأسكن بعيدا عن العواصف والفتن.

وأكبر كأنه الخلود، وفي كل نومة أحسبها الرحيل.

وأن أكون حرا، ولا أكون جسرا لسوء، أو شريكا له، وأعمل قدر ما أستطيع، بما يَـثْـبُت أنه صحيح.

وأجمل نجاح للذات ترميم ما تصدع من أفعالها، وتقويم طرائق السلوك إلى آمالها، وصيانة

الفرصة من الغصة لعدم الفوات لها، والإكرام للنفس حين منعها عما يُدنيها.

ومن خلال التطبيق العملي بنفسي مع نفسي، ومع الذين حولي، كعائلة، أو أقرباء، أو أصدقاء، أو مجتمع، والبحث عن شركاء، لأن رحلة العمر طويلة، وتتطلب قرينا موافقا يفرح لفرحي ويحزن لحزني ويساندني ويكون ملجئي، ومشيرا

في التخطيط، ومعه أبدأ، أو أستمر فردا، ضمن الحدود ذاتها.

العامل المساعد

تتعدد الوسائل التي تنهض بنا حين التقنين لها، لا سيما تلك التي تتلازم مع كل كيان، وفي مقدمتها ألا يخلو المرء من المعرفة التي يقوى بها العقل، لأن العلم نور، ويحتاج قبس النور كل سائر بين ظلام النفوس الجاهلة.

ويتحقق النصر مصحوبا بالسعادة حين التمييز بين عناصر الخير والشر، وترويض النفس على الخير ومجانبة الشر.

وتسهم عوامل الخير على تحفيز الذات، وتساعد على التطور والبناء الفكري.

وإن أول قانون يجب مراعاته مع النفس هو عدم الغضب، والحراسة منه، ولا يُـقَـرَّر مع الغضب

قرار، لأنه مفتاح الشر، ويتلوه الكذب، فهو صندوق كل شر.

ثم يكون البناء المعرفي حسب القدرة على الفهم والاستيعاب، والرعاية مع الدراية تثمر المودة في القلوب.

ويتجلى الفرق بين الـمَلِك والـمـالِك للصفات الانسانية، والايمان بينها مَلِك تسير في إثره

الصفات جميعا، والعدل وزيرها، والمالك الذي لا يجور عليها.

وبالإيمان يستنير الوعي، ويعمل على محاسبة النفس ومصارعة الهوى، ودوام النظافة من خلال تطهير الفكر الباطن وتزيين المنطق الظاهر.

ومع الصدق والحكمة وطلب العلم ونبذ الهوى والتواضع والحب تتطهر القلوب، ويكون لها

قابلية الكتمان والصبر، والشجاعة بالقدرة على الإمساك بالغضب، ونثر الابتسامة رغم ما عليه من الحزن.

ويتم عمران مدينة الحكمة في العقول لَـمّـا تبلغ قمم الفهم من المعاني، وتدرك إن لكل عمل أثر، مهما كان صغيرا أو كبيرا، وله طاقة إيجابية أو سلبية في مسيرتنا الحياتية، وحتى بعدها.

العناوين

١ اهداء

٣ مقدمة

٩ القراءة

١٣ الكتابة

١٥ عذابات النفس

١٩ المرحلة الأولى النمو

٢٩ المرحلة الثانية الادراك

٣٤ المرحلة الثالثة البيئة

٣٦ المرحلة الرابعة الوقت

٣٩ المرحلة الخامسة الوعي

٤٥ المرحلة السادسة التأمل

٥٧ المرحلة السابعة البحث عن الذات

٦٦ المرحلة الثامنة البحث عن الحقيقة

٨٣ المرحلة التاسعة البحث عن العلاج

٨٩ المرحلة العاشرة تحرير العذابات

٩٧ العامل المساعد

١٠٣ العناوين

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع